

صديقي المستمع، مازلنا ندرس رسالة الرسول بولس إلى المؤمنين في مدينة رومية أو روما. وهي الرسالة التي تعتبر من أجزاء العهد الجديد من الكتاب المقدس.

وكنا بدأنا في اللقاء الماضي بدراسة الأصحاح الثالث من هذه الرسالة. حيث تابع الرسول بولس نقاشه حول الديانة اليهودية وعلاقتها بالله. واعتبر أنه بالرغم من أن اليهود لم يكونوا أمناء على أقوال الله، لكن الله يبقى أميناً. وانتهى الرسول بولس بالتأكيد على حقيقة أن اليهود ليسوا أفضل من الوثنيين، لأن جميع البشر خطاة. لا بل أوضح الرسول بولس أن العمل بشريعة الله أو الناموس لا يبرر الإنسان أمام الله. وأن هدف شريعة الله كانت أن تكشف للإنسان مدى خطيته، وأنه عاجز عن تطبيقها في حياته. وفي ختام اللقاء الماضي طرحنا التساؤل التالي: هل هذه يعني أن الإنسان وصل إلى وضع ميئوس منه؟ فهو خاطئ ويستحق دينونة الله، لا بل إن شريعة الله عاجزة عن تبريره. فما هو الحل؟

أجابنا الرسول بولس عن هذا التساؤل في الآيات التي دونها لنا في الأصحاح الثالث. وكشف لنا عن العمل الذي عمله الله لتبرير الإنسان من خطاياهم. أليس هذا خبراً ساراً يا صديقي؟ فقد كتب الرسول بولس في العدد الواحد والعشرين قائلاً: "وأما الآن فقد ظهر بر الله بدون الناموس مشهوداً له من الأنبياء". فماذا قصد الرسول بولس بهذا الكلام؟ أن الله أعلن لنا خطته لتبرير الإنسان، أي لجعله صالحاً أمامه. وهذه الخطة أعلنها الله بمعزل عن الناموس، أي بمعزل عن الشريعة الإلهية. رغم أن الناموس والأنبياء في العهد القديم سبق أن تحدثوا عنها.

وتابع الرسول بولس في العديدين ٢٢ و٢٣ قائلاً: "بر الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون. لأنه لا فرق. إذ الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله." هل هذا يعني أننا نحصل على التبرير بمجرد إيماننا بالمخلص المسيح؟ نعم، فلن يبررنا الله ونصبح صالحين أمامه، علينا أن نؤمن، نؤمن فقط بالمخلص يسوع المسيح. وهذا الإيمان يشمل الجميع، أي الوثنيين واليهود. لأن الجميع خطاة وبحاجة إلى نعمة الله. وبتعبير آخر إن التبرير الذي عجز عنه الناموس أو شريعة الله، وعجزت عنه الأعمال الصالحة، يقدمه لنا الله المحب بواسطة الإيمان بالمخلص يسوع المسيح.

وعلينا أن نلاحظ أننا نحصل على تبرير الله هذا مجاناً أي بدون أن ندفع أي ثمن. إذ تابع الرسول بولس في العدد ٢٤ قائلاً: " متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي يبسوع المسيح." فما هو الفداء؟ إن الفداء يعني دفع الثمن بدل شخص آخر. وهكذا فإن المخلص يسوع المسيح دفع ثمن تبريرنا، وذلك بموته على الصليب نيابة عنا. أي أخذ العقاب الذي كان يجب أن يقع علينا نحن البشر الخاطئة.

وتابع الرسول بولس في العدد الخامس والعشرين حديثه عن المسيح فقال: " الذي قدّمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله." فماذا تعني الكفارة؟ تعني الكفارة التغطية. ولقد كانت شريعة العهد القديم في الديانة اليهودية تقضي أن يقدم كل من يخطئ ذبيحة حيوانية لكي يغطي خطيئته ويزيل غضب الله ويرفع العقوبة عنه. أي تأخذ الذبيحة العقاب بدلاً من الإنسان.

لكن كما نعلم فإن ذبائح العهد القديم فشلت في تحقيق هذا الهدف. فهذا هو النبي داود يكتب في المزمير: **لأنك لا تُسر بذبيحة. وإلا فكنت أقدمها. بمحرقة لا ترضى.**" (مزمور ١٦:٥١) ونعلم أيضاً أن ذبائح العهد القديم كانت رمزا وإشارة إلى الذبيحة الحقيقية التي سيهيأها الله للتكفير عن خطية البشر. أي ذبيحة المسيح الذي قدّم جسده بموته البديلي على خشبة الصليب. لكن لكي نستفيد أنا كإنسان خاطئ من ذبيحة المسيح هذه، عليّ أن أؤمن بهذه الكفارة التي أعدها الله لي. لهذا قال الرسول بولس: " **الذي قدّمه الله كفارة بالإيمان بدمه.**" وبتعبير آخر إن الإيمان بالمخلص يسوع المسيح وبدمه الذي سفكه على الصليب للتكفير عن خطاياي، هو الذي يجعلني أصير أنا الخاطئ باراً أو صالحاً أمام الله. الأمر الذي فشلت فيه ذبائح العهد القديم.

لهذا كتب الرسول بولس يقول أيضاً: " **إظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله.**" لكن ماذا تعني كلمة الصفح؟ تعني كلمة الصفح، التحرير والغفران. إن الله يحرر الإنسان من عبودية الخطية ويهبه الغفران الكامل، عندما يؤمن بعمل المسيح الفدائي من أجله على الصليب. فهل هناك محبة أعظم من هذه؟ حقا ما أعجب وما أعظم محبة الله!

وأنتهى الرسول بولس حديثه في هذه الفقرة فكتب في العدد ٢٦ قائلاً عن الله: " **إظهار برّه في الزمان الحاضر ليكون باراً ويبرر من هو من الإيمان بيسوع.**" أي أن الله فعل كل هذا لأنه بار أي صالح، ولكي يظهر برّه أو صلاحه يقبل كل من يؤمن بالمخلص المسيح. وهذا يعني أن الله البار يقبل الإنسان الخاطئ كشخص بار. لقد كان الأمر الطبيعي أن يدين الله البار الإنسان الخاطئ كمجرم. لكن الله ولفرط محبته وعظم نعمته يبرر الإنسان الخاطئ بمجرد إيمانه بشخص المسيح المخلص. فهل تؤمن يا صديقي وتحصل على تبرير الله لك؟

تابع الرسول بولس في العددین ٢٧ و ٢٨ من الأصحاح الثالث مناقشته فقال: " فأين الافتخار. قد انتفى. بأي ناموس. أبناموس الأعمال. كلا بناموس الإيمان. إذا نحسب أن الإنسان يتبرر بالإيمان بدون أعمال الناموس." أراد الرسول بولس القول: أنه مادام الله يقبل الإنسان الخاطئ عن طريق الإيمان، فإن كل افتخار بالجهد البشري أي بالأعمال ينتفي. إن الله هو صاحب الفضل في خلاص الإنسان، وليس للإنسان أي فضل. والسبب لأن أعمال الناموس أو الأعمال الصالحة لا تبرر الإنسان أمام الله، ولا تجعله مقبولاً لديه. وبما أن الله يقبل الإنسان على أساس الإيمان، فلم يعد هناك أي مجال للافتخار البشري.

وتساءل الرسول بولس عندها في العددین ٢٩ و ٣٠ قائلاً: " أم الله لليهود فقط. أليس للأمم أيضاً. بلى للأمم أيضاً. لأن الله واحد هو الذي سيبرر الختان بالإيمان والغرلة بالإيمان." إن الله إذن هو إله الجميع وليس إله لشعب معين فقط. وبما أن الجميع خطاة إن كانوا يهوداً مختونين أم أمماً غير مختونين، فإن الله سيبررهم أي يقبلهم بواسطة طريق واحد، هو طريق الإيمان بيسوع المسيح.

لكن يبقى تساؤل هام كان لابد للرسول بولس أن يطرحه في نهاية نقاشه هذا ويجب عنه وهو: "أفنبطل الناموس بالإيمان. حاشا. بل نثبت الناموس." فماذا قصد الرسول بولس هنا؟ سبق للرسول بولس كما درسنا أن يبين فشل الناموس في تبرير الإنسان، وأكد أن التبرير أمام الله يكون عن طريق الإيمان. لكن هل هذا يعني أنه لم يعد هناك ناموس أو شريعة يجب أن يتقيد بها الإنسان؟ بالطبع كلا. لأن الله وضع شريعته لكي يدل الإنسان على طريق الخطأ والصواب، وليسلك الإنسان بموجبها.

لكن هل يوجد فريق بين تقيد الإنسان بشريعة الله قديماً وتقيد به حالياً؟ أجل هناك فرق كبير جداً. لقد كان الإنسان في العهد القديم يتقيد بشريعة الله لكي يكون إنساناً صالحاً أمام الله. وكان في نفس الوقت يخاف من عقاب الله. لكن ماذا عن الإنسان في العهد الجديد؟ إن الإنسان في العهد الجديد يسلك بحسب شريعة الله لا لكي يرضي الله أو يتبرر أمامه، لأن الله قد قبله في المخلص المسيح. لكنه يفعل ذلك عن محبة لله وليس خوفاً منه، وكنتيجة لغفران الله لذنوبه.

هذا صحيح، ولهذا فإن الفرق شاسع بين أن نسعى لكي نخلص عن طريق العمل بما جاء في شريعة الله، أو أن نسلك بها لأننا خلصنا وأصبحنا من أولاد الله. ولذلك لم يُبطل الرسول بولس الناموس، لأنه مازال ناموس الله. لكن فهمنا له ولكيفية تطبيقه على حياتنا اليوم لا بد أن يختلف عن مفهوم وتطبيق العهد القديم.

ألا تود يا صديقي أن تحصل على تبرير الله لك؟ أو لا ترغب أن تحصل على غفرانه الكامل لخطاياك؟ فما عليك كما سمعت اليوم إلا أن تؤمن فقط بالمخلص يسوع المسيح وعمله الكفاري من أجلك على الصليب.